# الفصل الثانى
# التجارب الحديثة والمعاصرة لاهتمام بعض الأمم بلغاتها

بعد أن أوضحنا تأثير اللغة العربية فى اللغات الحية الأخرى ، ثم بيَّنا جوانب من الحملة الحاقدة على لغتنا العظيمة ، وعرضنا لأهم خصائص هذه اللغة وهى التى أبقت عليها حية عبر العصور ، وألقينا بعض الضوء على التجربة العربية الإسلامية العظمى للترجمة والتعريب وإقامة حضارة عالمية شامخة فى سالف الزمان ، أصبح واضحاً أمام كل ذى عقل وبصر مدى مقدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات التقنية المعاصرة ، وأضحى أمر التعريب ضرورياً إذا أردنا نهضة علمية مرموقة فى مستقبل أمتنا العربية والإسلامية بوجه عام . ولعلَّ التجارب التى قامت بها بعض دول العالم وشعوبه فى الاعتماد على لغاتها من الأدلة الدافعة على إمكانية القيام بهذه المهمة المصيرية ، وعلى ارتباط اللغة بحركات التقدم العلمى والحضارى عموماً .

## التجربة اليابانية

من المعروف أن العلوم نوعان : علوم أساسية ، وعلوم تقنية (تكنولوجيا) ، ومن المعلوم أيضاً أنه ليس فى وسع أمةٍ ما أن تعيش عيشة محترمة وتضمن استقلالها وتصون كرامتها ما لم تتضلع بالعلم ، سواء منه الأساسى أو التقنى ، وربما كان النوع الثانى وما يتصل به من الأمور الفنية فى التصنيع والزراعة أجدى وأنفع من النوع الأول فى النهضة المادية للأمة ورفع مستواها المعاشى .

أوضح الدكتور فاضل الطائى أن اليابان قد فطنت إلى منافع هذا النوع من العلم وتأثيره الكبير فى رفع الحياة المعاشية لسواد شعبها فأعارته اهتماماً يليق بما له من فوائد جمّة وَرَعَتْهُ رعاية يستحقها فأرسلت بعوثها إلى الأمم التى برزت فى العلوم التطبيقية كالدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية آنذاك لدراسة هذا النوع من العلم ، كما أوفدت القليل من بعوثها لدراسة العلوم الأساسية . ولمّا عادت بعوثها بدأت بصنع الآلات الزراعية الحديثة وبناء المعامل التى تستخدم مواردها الطبيعية ولم يكن التصنيع والبناء بجديدين بل نقلت ما هو معروف فى أوروبا وأمريكا إلى بلدها وأفادت منه فائدة كبيرة

فى الحفاظ على دخلها القومى أوّلاً ثم استغلال الأيدى العاملة استغلالاً يضمن رفع مستواهم الاقتصادى والاجتماعى ، كما صيَّرت من خاماتها الطبيعية موارد تجارية تدرّ عليها الربح الكثير ، وخلاصة القول : أن اليابان قد اعتمدت فى إبّان نهضتها على التقليد والنقل لِمَا كان موجوداً فى الأمم التى سبقتها فى المضمار الحضارى المادى . وعندما اطمأنت إلى مستوى شعبها المعاشى ودخلها القومى تبنّت الاهتمام بالنوع الثانى أى التكنولوجيا من العلم . فتعاون علماؤها من النوعين : الأساسى والتقنى ، وانطلقت إلى العالم بنهضة قومية وفى فترة قصيرة جداً كانت موضع دهشة الأمم الأخرى وإعجابها ؛ وجعلت اليابان من لغتها الرسمية أداة مستعملة فى شتى العلوم ومختلف المجالات ، حتى أننا نرى بحوثهم منشورة باللغة اليابانية ، وإن كانوا يلحقونها بملخصات باللغة الإنجليزية .

## التجربة الصينية

إذا كانت اليابان قد عُنيت منذ بداية نهضتها العلمية والتكنولوجية بالتكوين الأساسى لمبادىء العلوم ، ثم تدرجت صاعدة من خلال لغتها القومية ، التى اكسبتها الامتلاك الحقيقى للقاعدة التكنولوجية ، بالرغم من الصعوبة الأسطورية التى تواجه الفرد لمزاولة تلك اللغة ، ذلك لأن حروفها يبلغ عددها عشرة آلاف حرف ، ورغم ذلك فقد ابتكر الصينيون إعجازاً هو « آلة كاتبة » تستطيع أن تستوعب تلك الحروف ، واستطاعت أن توحد اللغة الصينية التى كانت تتجزأ إلى ٣٠٠ لغة ، ثم استطاعت أن تلغى من قاموسها « اللغة الإنجليزية » فى مختلف أنواع العلوم والتقنية .

## التجربة الفرنسية

لقد تخلصت فرنسا من عقدة تدريس العلوم بالإنجليزية ، حين اتخذت الدولة قرارها بـ « فرنسة العلوم » وخاصة العلوم الطبية منها ، ونجح القرار بنجاح التجربة ، واستقرت العلوم بالفرنسية ونهضت فرنسا حتى أضحت اللغة الفرنسية لغة عالمية فى تعلم الطب حيث انتشرت فى بلاد كتونس والجزائر على سبيل المثال .

## التجربة الروسية

استطاعت روسيا أن تقضى على الأمية وأن تنقّى اللغة الروسية من الألفاظ الأجنبية ،

وأن تدخل بتخطيط علمى وبشكل حاسم اللغة الروسية فى مختلف أوجه العلوم والتكنولوجيا الحديثة ، حتى تمّت للروس السيطرة اللغوية على لغة التعامل « العلمى والأيدولوجى » ـ على حدّ تعبير مجلة شئون عربية ، ع ٢٨ ـ فأصبح فى كل مجال من مجالات التقدم العلمى والرقىّ التكنولوجى أسماء روسية متميزة وعلماء بارزون ينافسون كثيراً من أضرابهم فى مختلف دول العالم ، ولعلَّ بحوثهم التى ينشرونها باللغة الروسية دليلٌ على إصرارهم على نشر هذه اللغة وإقرارها لغة للرقى والتقدم بعد أن كانت اللغة الإنجليزية هى الأداة المستعملة فى العلوم والتقنية عندهم قديماً . ولكننا يجب ألّا نغفل جانباً على درجة كبيرة بل وخطيرة من الأهمية فى النهوض والرقى العلمى ، ذلك هو جانب الترجمة ، فلقد تبنىَّ (لينين) فى أوليات ـ هذا القرن ـ بعد الثورة البلشفية ، إنشاء جهاز للترجمة الضخمة أربى العاملون فيه على مائة ألف مترجم لنقل العلوم الغربية إلى اللغة الروسية ، وقد كان يشرف بنفسه على هذا الجهاز الخطير الذى حقق المعجزة ، ومازالت أجهزة الدولة السوفيتية تستخدم أكثر من مليونىْ مترجم لجميع لغات العالم منها وإليها .

## التجربة الفيتنامية

لفيتنام فى مجال « فتنمة » العلوم تجربة جديرة بالتأمل والدراسة ، فلقد احتجَّ الأطباء فى فيتنام بعدم إمكانية « فتنمة » كلية الطب لأن المصطلحات الطبية تتميز بعموميتها وألفاظها الخاصة بها ، وطلبوا من « هوشى منه » أن يمهلهم خمسة أعوام لذلك العمل ، ورفض « هوشى منه » ذلك الحل المتباطىء، وحسم القضية بقوله : تستطيعون أن تقوموا بالدراسة بشكل متوازٍ ، بمعنى أن تقوم الدراسة باللغة الفرنسية ـ لغة العلوم آنذاك عندهم ـ وفى نفس الوقت تتعلمون الفيتنامية ، على أن تجرى الامتحانات فى نهاية السنة باللغة الفيتنامية . ونجحت التجربة ، وتخلصت فيتنام من عقدة الخواجة فى نهضتها العلمية المعاصرة .

## ولليهود تجربة

استطاعت التجربة اليهودية أن تعيد إحياء اللغة العبرية بعد أن كانت ميتة ومحنّطة قروناً طويلة على الرغم من تعدّد الألسنة واللهجات ، وأن تجعلها اللغة الأولى للتعلم فى مختلف الكليات العلمية والنظرية على السواء ، فالطب والهندسة والعلوم تُدرَّس بالعبرية بالرغم من أنها كانت قد اندثرت ضمن اللغات السامية المنقرضة .

وعلى الرغم من ذلك لم نر أحداً من اليهود يرفض أن تكون العبْرية لغة للعلوم والآداب والاستعمال العام ، ولم نسمع أحدهم يشيع عنها عجزها عن مواكبة التطور الحضارى واستيعاب المعارف الحديثة ، أو يتهمها بصعوبتها ، كما لم نسمع أحداً منهم يدعو اليهود إلى هجر حروف العبرية أو تغيير قواعدها أو التمرد على أساليبها .

## فهل لنا من تجربة

نعم كانت لنا فى الماضى تجربة رائدة ، وكان لنجاحها العظيم أكبر الصدى فى أنحاء العالم ، تلك التجربة التى لَمَعَ بسببها عباقرة كابن سينا والرازى وابن الهيثم وأصحابهم من نجوم العلم ورواد الحضارة العربية فى الماضى . ولكن هل لنا فى عصرنا الحديث تجربة نستعيد عن طريقها مجدنا العلمى وريادتنا الحضارية ؟ الإجابة : لا توجد تجربة بمثل تجربة المأمون [ ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ = ٨١٣ ـ ٨٣٣م ] أو حتى على مستوى التجارب العالمية التى أشرنا إليها فى السطور السابقة ، لكن لدينا محاولات ـ نسميها تجارب أحياناً ـ يثبط الهمة فيها الحاقدون على اللغة العربية والماكرون لمستقبل الأمة ، ويشتت العزم فيها والجهد من أجل إنجاحها سوء التخطيط وتفرق الكلمة وتعدد الأهواء ...

## تجارب عربية حديثة للتعريب

### تجربة مصر

حلَّ بالبلاد العربية ـ ومنها مصر ـ فى العصر الحديث (القرون من الثامن عشر وحتى منتصف القرن العشرين الميلادى) انحطاط سياسى مديد ، صحا العرب بعده فوجدوا أنفسهم متخلفين ووجدوا أن الحضارة قد انتقل نجمها إلى الغرب حيث أوروبا الحديثة ، فأخذتهم الدهشة ، لكن محمد على باشا [ ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م ] انتقل من دهشة الإنسان الشرقى المتخلف إلى الاقتباس العملى من هذه الحضارة الأجنبية ، وقام بنهضة حديثة فى التعريب والتقدم الصناعى والزراعى وغير ذلك .

يقول أحمد عُلبى[1] : إن الذين ينعون على محمد على تركيّته ، عليهم أن يتذكروا أن محمد على هو الذى أحيا العربية فى مصر وكرّسها لغة رسمية وسائدة ، وبلغ به الأمر أنه فرض الأزياء العربية على من دخلوا فى خدمته من الإفرنج ، كما ألزمهم بتعلم العربية . ثم

(١) عُلبى ( د / أحمد ) : تجربة محمد على التحديثية . العربى (٣٦٧) ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

أن محمد على هو أول من استقل بمصر عن الدولة العثمانية ... لكن هناك فارق ذو شأن بين المرحلتين العباسية (الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة) والنهضوية (فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين) ، فقد تأثر العرب فى زمنهم العباسى بغيرهم ، وكانوا إذ ذاك أقوياء سياسياً ويديرون شؤون إمبراطورية عظمى ، فى حين أن عرب النهضة الحديثة قد أناخ عليهم العثمانيون قروناً ، فأفقدوهم مناعتهم التراثية ، وضُؤل العلم بينهم كثيراً ، وغدوا فى الواقع عالة على التاريخ لا حَمَلَة له[1] ...

أنشأ محمد على باشا الجيش العصرى القوى ، وأنشأ المدرسة الطبية بأبى زعبل وألحق بها مستشفى سنة ١٨٢٦م ، ثم نقلت إلى قصر العينى سنة ١٨٣٧م ، ولم ينتظر فى ترجمة العلوم الطبية وغيرها وتعريب المعارف إلى أن يأتى مبعوثوه من أوروبا ، ولم ينتظر أيضاً حتى يتعلم الأساتذة الأجانب الذين استجلبهم لتعليم المصريين ، بل كان فى بداية النهضة يصحب الأستاذ الفرنسى مثلاً ترجمان ، وهؤلاء التراجمة كانوا من اللبنانيين والمغاربة والأرمن ... وكانت نهضة لم تشهدها مصر أو غيرها من البلاد العربية منذ قرون طويلة .

لقد تمّ اختيار نخبة من رجال الأزهر الشريف ، من ذوى الدراية بعلوم اللغة ، وكُلِّف هؤلاء الرجال بمراجعة النصوص المترجمة وتصحيحها وإعادة كتابتها بلغة سليمة واضحة[2] ... وكان لزاماً على المصحح أن يجتمع مع المترجم لمناقشة عبارات الكتاب المترجم ، العبارة تلو الأخرى ، وإذا لم يجد المصحح العبارة سليمة أو شكَّ فى صحتها يقتضى الأمر الرجوع إلى الأصل وإعادة النظر فى الترجمة حتى يستقيم الأمر ... ويعتمد المصحح والمترجم على ما بين أيديهما من معاجم لغوية وكتب طبية عربية قديمة ... وبعد كل ذلك العناء قد تحوَّل النصوص المترجمة إلى لجنة ثانية للمراجعة والتصحيح لإبداء الرأى والسماح بطبع الكتاب[3] ، وكثيراً ما يُطْلَبُ من المترجم نفسه أو من مترجم غيره أن يعيد ترجمة النصّ العربى إلى اللغة الأجنبية ذاتها أو إلى لغة أجنبية ثانية ليّطلع عليها الأستاذ المتخصص بتدريس المادة ، فإذا وجد أن الأفكار سليمة ، وأن المترجم متفهم

---

(١) غُلبى ( د / أحمد ) : نفس المرجع .

(٢) الشيال ( د / جمال الدين ) : تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على . دار الفكر العربى بالقاهرة ، ط ١ ، ١٩٥١ م .

(٣) الشيال ( د / جمال الدين ) : نفس المرجع .

للعبارات ، أجاز تحرير وطبع النصّ العربى ... وتهدف هذه العمليات التى تبدو للوهلة الأولى معقّدة ومكررة إلى التأكد من تفهُّم المترجم لعناصر النصوص العلمية ... إلّا أن هذه الصورة المعقدة أصبحت أكثر بساطة بعد أن أوْفَدَ محمد على البعثات العلمية إلى بلاد أوروبا عامة ، وإلى فرنسا خاصة .. إذ كان الموفدون طلاباً فى الأزهر الشريف ، وكان لهم دراية بعلوم اللغة العربية ، وما أنْ أمضوا سنواتهم الأولى وتعلموا اللغات الأوروبية حتى وافتهم تعليمات من محمد على بالعمل على ترجمة الكتب التى يدرسونها « أولاً بأوّل » ، وبإرسال الترجمات إلى مصر[1] ... لم ينتظر محمد على حتى يصل أعضاء البعثة لمقابلته فى العاصمة ، بل كان يصدر إليهم الأوامر بترجمة بعض الكتب فى الفترة التى قضوها فى الحجر الصحى « الكارنتينا » .

ويروى المؤرخون أنه لما عاد أعضاء البعثة عام ١٨٢٦ م استقبلهم محمد على فى ديوانه بالقلعة وأعطى كُلَّ واحدٍ منهم كتاباً فرنسياً فى المادة التى درسها فى أوروبا ، وطلب منه أن يترجم ذلك الكتاب إلى اللغة العربية وأمر بحجزهم فى القلعة ، وألّا يُؤْذَنَ لأحدٍ منهم بمغادرة القلعة حتى يتم ترجمة ما عُهد إليه بترجمته[2] ، بل إن هؤلاء الموفدين لا يُلْحَقُونَ بالوظائف الحكومية ما لم ينجزوا ترجمة كل ما يُطْلَبُ منهم مما هو لازم للمدارس الملكية ، ومُحْتَاجٌ إليه فى المكاتب السلطانية[3] .

إن أكثر الأمور لفتاً للنظر فى الترجمة المصرية أنها تجربة مؤسسية « أكاديمية » تحت رعاية وتشجيع الحكومة ، وبإشرافها وتوجيهها ، واعتمدت على أكثر فئات الشعب تنوُّراً ومعرفةً آنذاك وهم مشايخ الأزهر وطلابه ... وفى ظل هذه المؤسسات ظهرت ، أولى المؤلفات الحديثة فى العلوم[4] ... ويعتقد الكثير من الباحثين أن هذه الهيئات قد وُفقت توفيقاً كبيراً فى ترجمة أسماء كثير من المصطلحات الحديثة ، وأسماء الآلات ، ومازال قسم كبير منها يُستعمل حتى الآن فى كتب العلوم الحديثة مثل الأنبوبة ، البودقة ، الجفنة ، المخبار ، المرشح[5] .

---

(١) سامى باشا( أمين ) : تقويم النيل وعصر محمد على باشا . مطبعة دار الكتب المصرية ، ط ١ ، ج ٢ ، ١٩٢٨ م .

(٢) سامى باشا ( أمين ) : نفس المرجع .

(٣) الشيال ( د / جمال الدين ) : مرجع سابق .

(٤) الشيال ( د / جمال الدين ) : نفس المرجع .

(٥) السارة ( د / قاسم ) : تعريب المصطلح العلمى « اشكالية المنهج » . عالم الفكر ١٩ (٤) ١٩٨٩ م .

وقد أثمرت هذه التجربة التى استمرت زهاء سبعين عاماً ثروة علمية هائلة .. فتمّ ترجمة ووضع وتأليف ٦٦ كتاباً فى العلوم العسكرية ، ١٣٥ كتاباً فى العلوم غير العسكرية ، وقد حوت هذه الكتب عشرات الألوف من المصطلحات العلمية الجديدة .. وقد وضع محمود رشدى البقلى معجماً باسم « قاموس طبى : فرنساوى ـ عربى » فى باريس سنة ١٢٨٦هـ [ ١٨٦٩م ] ، وهو يقع فى ٣٥٨ صفحة ويضم ٧٠٠٠ لفظة[١] .

وأما عن حال الترجمة والتعريب ودقتهما فى عصر محمد على باشا فى مصر ، يقول الدكتور قاسم السارة[٢] :.... والواقع أنه باستثناء بعض الأعمال الأولى التى كانت على درجة غير مُرضية من الضبط العلمى ومن الدقة اللغوية ، فإن جميع الأعمال التى أُنجزت كانت مستوفية حقها من الضبط العلمى والصحة اللغوية فى نفس الوقت ، وذلك بفضل الخطة الرشيدة والمراقبة الدقيقة لتنفيذ تلك الخطة .

ومما يؤسف له أن (قاموس القواميس الطبية) الذى بذل فيه علماء لجنة مصرية جهوداً كبيرة من أجل ترجمته من الفرنسية إلى العربية قد اصطحبه الدكتور كلوت بك معه عند عودته إلى فرنسا خشية ضياعه خاصة بعد وفاة محمد على وخمود حركة التعريب فى عهد خلفه عباس الأول ، وقدمه كلوت بك هدية إلى المكتبة الأهلية هناك ، وفى ١٩١٠م جرت مـ اورات بين نظارة المعارف فى مصر وبين فرنسا لأخذ نسختين مصورتين منه ، وتم ذلك وعهد إلى نفر من العلماء بتنقيح أجزاء منه وطبعها لكن لم يتعد الذى ظهر المائة صفحة ويظل الباقى حتى الآن منسياً فى دار الكتب[٣] .

يقول الدكتور أحمد شوكت الشطى فى كتابه (نشاط العرب العلمى فى مائة سنة) عن كتب الطب التى كان أساتذة قصر العينى يؤلفونها فى تلك الآونة : لو تصفحنا الكتب التى أُلفت أو تُرجمت فى مدرسة قصر العينى لوجدناها كتباً ممتازة لا تقل عن أمثالها فى ذلك الحين من كتب الغرب جودة فى الطبع وحسناً فى التعبير وبراعة فى الإيضاح[٤] .

---

(١) الشيال ( د / جمال الدين ) : مرجع سابق .

(٢) السارة ( د / قاسم ) : مرجع سابق .

(٣) السارة ( د / قاسم ) : نفس المرجع .

(٤) خورشيد( إبراهيم زكى ) : الترجمة ومشكلاتها . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

ويذكر بالثناء الجميل جهود ذلك النفر من المبعوثين الذين أوفدتهم الحكومة إلى الخارج وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوى شيخ المترجمين فى عصره [ ١٨٠١ ـ ١٨٧٣م ] ، فقد قاموا بجهود مرموقة بعد عودتهم ، ومن هؤلاء نذكر فى العلوم الطبية محمد على البقلى ، محمد الشافعى ، إبراهم النبراوى ، ومحمد الدرى ، وفى النبات والحيوان والجيولوجيا والفيزياء نذكر محمد ندى ، وفى الصيدلة والسموم نذكر على رياض ، وفى الرياضيات نذكر محمد بيومى وكذلك محمود الفلكى فى الرياضيات والفلك ، والسيد صالح مجدى وأحمد عبيد ومحمد لاز فى العلوم العسكرية والفنون الحربية .. وقد شارك هؤلاء عدد من اللغويين الذين تضافرت جهودهم مع إخوانهم فى هذه النهضة ، نذكر منهم محمد عمر التونسى وإبراهيم الدسوقى .. وكل ذلك قبل أن يجثم شبح الاستعمار الإنجليزى البغيض على صدر مصر عام ١٨٨٢م ، وهو الاستعمار الذى سعى من أجل القضاء على اللغة العربية وإحلال لغته محلها ، إذ بعد الاحتلال بخمس سنوات [ أى عام ١٨٨٧م ] حُوِّل التدريس من العربية إلى الإنجليزية ، بعد أن لبث يؤدَّى بالعربية أكثر من ستين عاماً .

لكن الضمير الوطنى لم يمت فى مصر ، بل صحا فى وجه الاحتلال ، وقام حُماة اللغة والغيورون على الذات العربية بالدعوة إلى تعريب العلوم ونشر العربية فى المجالات العلمية ، وحمل لواءها عبد الله النديم فى مجلة الأستاذ عام ١٨٩٢م ، ثم تجانست جهود نفر من رجالات الأمة هم محمد توفيق البكرى والشيخ محمد عبده والشيخ الشنقيطى وحمزة فتح الله وحفنى ناصف ، وهم الذين تدارسوا الأمر ووضعوا لائحة المجمع اللغوى بالقاهرة ، وقد ظهرت فى هذه الأثناء مجلة «**المهندس**» التى قامت بتجربة هامة فى كتب البحوث العلمية باللغة العربية الفصحة ، لتدحض بذلك فرية المدّعين بعجزها العلمى .

ويعدّ الدكتور عبد الصبور شاهين [1] عصر محمد على فى مصر بداية (النهضة الحديثة للغة العربية) إذ يقول : إن الألفاظ المولَّدة بدأت مرحلتها من القرن الرابع الهجرى ، وانتهت عند عصر محمد على فى مصر ، فى العقد الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى . وعلى ذلك نعتبر عصر محمد على بداية مرحلة تحديث اللغة العربية ، فقد بدأت معه

---

(١) شاهين ( د / عبد الصبور ) : مرجع سابق .

المواجهة بين المجتمع العربى المتطلع إلى النهضة وبين أوروبا التى كانت قد ملكت ناصية العلوم الحضارية المعاصرة ، وتميزت بأسلوبها عن الأساليب العتيقة التى كانت سائدة فى العالم الإسلامى ، والتى ثبت فشلها عند أول صدام بين الأسلوبين إبّان الحملة الفرنسية ، وبعد أن شرح أسلوب محمد على فى نقل العلوم الحضارية الأجنبية المختلفة ، يقول :... ولقد أدى ذلك إلى أن استعادت اللغة العربية شبابها ، وانبعث فى أوصالها روح الحياة الجديدة ، حين عكف المترجمون على استخراج كنوز اللغة من موسوعاتها العلمية ، وأخذوا يقرّبون الشيء إلى الشيء ، ويربطون النظير بالنظير ، ويقاربون ما بين الأشباه والنظائر ، فى محاولاتهم حلّ ما كان يواجههم من مشكلات فى شتى ضروب المعارف المعاصرة .

من أجل هذا نعتبر هذا العصر بداية النهضة الحديثة للغة العربية ، ومنطلقها إلى (مرحلة التحديث) التى ماتزال تعالج ظواهرها فى المجامع اللغوية وعلى أيدى علمائها المجمعيين .

ولْنقفز بالزمان لنصل إلى أواخر الخمسينات فى هذا القرن العشرين الميلادى لنجد أن الأوساط الجامعية فى مصر شهدت حركة طيبة بدأها المجلس الأعلى للعلوم ، وقد وضع برنامجاً لترجمة أمهات الكتب والمراجع فى العلوم الأساسية ، وقد تم بالفعل ترجمة ثلاثين كتاباً على يد نخبة من العلماء وأساتذة الجامعات ذوى الباع الطويل من الخبرة الواسعة فى هذا المجال ، ولكن للأسف فقد حُلَّ هذا المجلس بعد ذلك ثم أُهملت الكتب التى أصدرها على الرغم من ارتفاع مستواها العلمى ، ولذلك أسباب منها عدم التدريس بالعربية وهو فى حد ذاته كفيل بوأد الجهود المضنية التى بذلها علماء مصر فى تلك الآونة .

وفى مصر أيضاً يجب أن نذكر مؤسسة فرانكلين التى قامت بنشاط فى الستينات ، فأخرجت إلى المكتبة العلمية العربية العديد من الكتب والمراجع ، ولكن كل هذه الجهود طواها النسيان الآن ، ومن أبرز أسباب ذلك ما ذكرناه آنفاً .

ومن الجدير بالذكر مشروع الألف كتاب الذى قامت به وزارة التعليم فى مصر فى الستينات من هذا القرن ، فقد قام بجهود لا بأس بها فى تعريب العلوم والمعارف العلمية ، لكنه بعد ذلك واجه العثرات وتوقف عطاؤه عدة سنوات ، لكننا نراه الآن قد استأنف نشاطه وضُمَّ إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، إلّا أنه يحتاج الكثير من العناية حتى يعود إلى سالف عهده ، فالآن لا تجد جودة الموضوعات أو الإخراج أو التشجيع المادى الذى يجلب الجيد من المؤلفات إليه .

عرفنا مما مرَّ أن شيوخ الأزهر وطلابه كان لهم دور بارز فى حركة الترجمة والتعريب التى تمت فى مصر إبان عهد محمد على باشا [١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م] ، وثبت بالبرهان العلمى والدليل التاريخى هذا الدور الأزهرى الفعال ، لكننا نرى من الكتّاب من يذهب إلى غير هذه الحقيقة ، فإن أحمد عُلبى[١] يذهب إلى أن محمد على كان مناوئاً للأزهر ، ولم يسْع ألبتة إلى تطويره ، شأن ما فعل الحكام الكبار الذين عرفتهم مصر . فهذا الصرح العريق حمى اللغة العربية أيام العثمانيين لكنه انتهى مع الوقت إلى الضعف ، وانقطع عن المصادر التراثية الأولى ، وغدا العلم فيه يعول على المتون النثرية أو الشعرية المتأخرة زمنياً ، ولا يفعل العلماء سوى أن يعمدوا إلى شرحها مرة ومرة فيما يدعونه الحاشية والتقرير . وبفعل هذا الركود العقلى أمسى الأزهر محافظاً متزمتاً ، وصار مع الزمن قطباً معبِّراً عن العقلية القديمة التى وقفت تنازع الجديد فى الفكر والأدب والحياة . وهذا الجديد تمثَّل بالتيار الذى تنبَّه لآثار الحملة الفرنسية ، ولإصلاحات محمد على ، ثم إسماعيل ، ورأى فى الغرب موئل التقدم والحداثة وبناء الدولة العصرية .

وهذا التيار « المتغرب » المناوىء للأزهر ، هو الذى توَّج سعيه الثقافى ، فى مطلع هذا القرن العشرين ، بافتتاح الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨م ، وكانت على النمط الأوروبى فى برامجها وطريقة تدريسها للأدب والتاريخ والفلسفة . ولقد توالى على منابر الجامعة المصرية أعلام المستشرقين من إيطاليا وفرنسا ، يعلِّمون فيها ما ألفوه فى بلادهم من علم منهجىّ مصوغ فى قالب تأليفى متناسق متكامل ، بل إن بعضهم ، وهم قلة نادرة ، قد كتبوا بالعربية[٢] .

فهل كان الأزهر حقاً يغط فى سبات أو يعانى من انحطاط علمى فى تلك الحقبة من الزمان (القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلاديين) كما ذهب الكاتب ؟ إننا لا نريد التأريخ للأزهر فى كتابنا الحالى ، فهذا ليس مقامه الآن ، بل نريد فقط أن نتعرف على دور الأزهر أو على أقل تقدير حال الأزهر فى هذه الفترة من تاريخ مصر التى شهدت نهضة علمية كبيرة وهامة فى حياة الأمة العربية ، كما أجمع العلماء والمؤرخون .

---

(١) عُلبى ( د / أحمد ) : مرجع سابق .

(٢) عُلبى ( د / أحمد ) : نفس المرجع .

قامت أمانة مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة بطبع «تاريخ الأزهر وتطوره» ، وعرض له الدكتور محمد محمد الحسينى [1] على صفحات مجلة الأزهر ، ونحن نلتقط هنا ما يهمنا ويحقق الغرض فى التعرف على أحوال الأزهر إبان النهضة العلمية والتقنية فى عصر محمد على بمصر ، وكان مما جاء فى ذلك البحث بيان دقيق عن الأحوال العلمية ، وأحوال العلماء على مرّ العصور وبخاصة منذ خَلُصَ الأزهر لأهل السنّة وأخذت صفته العالمية تتلبور حتى صار قبلة واحدة للإسلام والعربية فقهاً وعلماً . وفى عهد الأيوبيين [ ٥٦٧ ـ ٦٤٨ هـ ] احتفظ الأزهر بصفته العلمية بعيداً عن الآثار المذهبية لبعضّ الطوائف وقام بدراسة المذاهب السنيّة المعروفة ، وجاء عهد المماليك فشجعوا هذا التيار وسطع اسم الأزهر فى العالم الإسلامى «جامعة إسلامية كبرى» ، ثم أصيب بنكسة علمية على أيدى العثمانيين [ ٩٢٢ ـ ١٢٥٠ هـ/١٥١٧ ـ ١٨٠٥ م ] ، وعملوا على حرمان أبنائه من دراسة العلوم العقلية . وأشاعوا بين العلماء القول بتحريم دراستها ، فاقتصرت الدراسة فى الأزهر على العلوم الدينية واللغوية مدة طويلة ، وظل الأزهر هكذا وقتاً كبيراً من الزمن يعيش فى تدهور وضغط ، يرتفع أحياناً وينزل أحياناً أخرى ، ولكن كان يدرس من العلماء فى ذلك الوقت فوق المواد الدينية المواد الطبيعية وغيرها من أمثال الشيخ أحمد عبد المنعم الدمنهورى [ ١١٩٢ هـ ] الذى كان من شيوخ الأزهر ، وله مؤلفات كثيرة فى علم المزاول والميقات ، وأسباب الأمراض وعلاماتها ، وعلاج البواسير ، وعلم التشريح وتاريخ العرب والعجم ؛ والشيخ سلامة الفيومى الذى كانت له مؤلفات فى الهندسة ؛ والشيخ الخازن الذى كان له مؤلَّف فى المواد الثلاث الحيوان والنبات والمعادن ؛ والشيخ حسن العطار الذى كان له مؤلَّف فى علم المزاول والطلاسم .

من ذلك يتبيّن أن الأزهر قد شارك مشاركة فعالة فى العلوم المختلفة والثقافات القديمة والحديثة بجميع أنواعها ونواحيها ، ومع هذا كله فقد أشيع بين العلماء القول بتحريم دراسة العلوم العقلية ، فاقتصرت الدراسة على العلوم الدينية واللغوية مدة طويلة .

وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى مَنَّ الله على مصر بجماعة من المصلحين أمثال جمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى والشيخ محمد عبده ، فاتجهوا إلى إيقاظ الفكر المصرى والعربى ... فأخذت الدراسة فى الأزهر تشق طريقها إلى التقدم العلمى

(١) الحسينى ( د / محمد محمد مصطفى شحاته ) : عرض كتاب « تاريخ الأزهر وتطوره » . مجلة الأزهر ٥٥ (٧) ١٩٨٣ م .

بعد سنة ١٣١٠ هـ ، وكانت العلوم التى تدرس فى الجامع الأزهر هى : التوحيد ، التصوف ، التفسير ، التجويد ، القراءات ، الحديث ، المصطلح ، فقه المذاهب الأربعة ، أصول الفقه ، أصول اللغة ، النحو ، الصرف ، علوم البلاغة والعروض والقافية ، الوضع ، المنطق ، أدب البحث ، التاريخ ، الحساب ، الجبر ، الهيئة والميقات ، الحكمة ، والرسم . إلّا أن الأزهر قد أصيب بنكسة جديدة فى أوائل القرن العشرين الميلادى من قبل المتزمتين وهم الذين يرفضون تعلم العلوم الحديثة والتقلب فيما برعت فيه الدول الأوروبية من علوم وبحوث وتقنية .. وهكذا تتوالى الأيام والسنون حتى يأتى عام ١٩٦١م ليشهد قانون تطوير الأزهر ، وهو القانون الذى قُوبل بمعارضة من علماء ليسوا بالقليل ، ولا يزالون يرمونه بالتسمية « تطيير الأزهر » وليس « تطوير الأزهر » ، ولايزال من العلماء النظريين فى الأزهر من يدعون إلى عودة الأزهر إلى حالته الأولى أى يقصدون اقتصاره فقط على العلوم الشرعية والنظرية وعدم ولوج العلوم العملية أو المناهج البحثية أو الدخول فى مجال التنمية والتقنية ، والمقصود بذلك بصراحة ووضوح هو الدعوة إلى إلغاء الكليات العملية من طب وهندسة وعلوم وزراعة وصيدلة وغيرها !! وحجة هؤلاء حجة ذات جوانب ، نتفق معهم فى جانب واحد منها ألا وهو أن تجربة الأزهر هذه (يعنى الجمع بين العلوم الشرعية وبين العلوم المدنية والبحوث التجريبية والمعارف التقنية) ، لم تؤت ثمارها حتى الآن رغم مرور قرابة الثلاثين عاماً على بدئها !! إلّا أن أسباب تأخر هذا الإثمار قد نوقشت فى بعض لقاءات العيد الألفى للأزهر [ ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م ] ، وألقيت فى المؤتمر التاسع لمجمع البحوث الإسلامية بمناسبة العيد الألفى للأزهر بحوث كثيرة ودراسات متعمقة أحياناً وسريعة أحياناً أخرى ، وكان من هذه البحوث بحث للدكتور محمد السعدى فرهود ــ وكيل الأزهر آنذاك ــ عن « الأزهر والتحديات أمام اللغة العربية » ، وكان مما جاء فيه : .... وقد ابتليت الأقطار العربية بالاستعمار الغربى ، حتى نشأت طوائف من أبنائنا (المستغربين) اصطنعوا اللغة التى قلوكها ألسنتهم وسيطرت عليهم ثقافاتهم الغربية ــ الغريبة ــ فعملوا على التأصيل لها ، ومد سيطرتها على المؤسسات الثقافية والعلمية . وما أظن إنشاء المعاهد العليا والجامعة فى مصر إلّا كان لتمهيد الأرض لهذا الحرث الاستعمارى . وقيل فيما قيل : أن علوم الطب والهندسة والرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها يجب أن نُلَقِّنَهُ عن الغرب لأنه صاحبه ، وغفلوا ــ عامدين أو ناسين ــ أن للعرب فيها تصانيف وتآليف كثيرة بالعربية ، وأنها كان يقيناً من علوم الأزهر إلى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى

(أواخر القرن الثامن عشر الميلادى) ، وربما بعده ، فقد عرفنا مصنفات الشيخ حسن العطار [ ت ١٢٥٠ هـ ] إلى جانب رسائله فى الفقه وأصول الفقه والعقيدة والمنطق ، رسائل فى الطب والتشريح والجراحة وكيفية العمل بالاصطرلاب ... ومن يطلع على مصنفات الشيخ الدمنهورى [ ت ١١٩٢ هـ ] ـ وهى تزيد على الأربعين رسالة ـ يقرأ له فى الفقه والتوحيد والقراءات والتفسير ومصطلح الحديث والبلاغة وعلم الوضع والسياسة والأخلاق ونظم الحكم والتصوف والمنطق . ويقرأ له فى الحساب والهندسة والمثلثات والمربعات والكيمياء والجيولوجيا والزيجة والفلك والتشريح وعلاج البواسير وعلل الأمراض ... هذا كله باللغة العربية .

## تجربة سوريا ولبنان

قامت أول حكومة عربية فى دمشق سنة ١٩١٨م ، وأسست وافتتحت المدرسة الطبية العربية سنة ١٩١٩م (وسُمى فيما بعد المعهد الطبى العربى) ، ومنذ أيامها الأولى أخذت تنهل من مصادر مختلفة [١] ... ولم يقتصر جهود الحكومة العربية فى دمشق على إنشاء المعهد الطبى العربى ، بل سارعت لنشر استعمال المصطلحات العلمية بين أوساط المثقفين والمختصين واشتراط إتقان العربية قبل تعيينهم فى وظائفها [٢] ، وصدرت فى دمشق أول مجلة طبية باللغة العربية عنوانها (**الصحة العمومية**) ، عالجت عشرات المصطلحات الطبية العربية المأخوذة عن الفرنسية والتركية ... ورغم سيطرة الانتداب الفرنسى على سوريا منذ يوليو ١٩٢٠ ، ، فإن مسيرة التعريب فى المعهد الطبى استمرت ، وأضيف إليها الجهود الجديدة فى معهد الحقوق (الذى أسس عام ١٩٢٣م) . وفى عام ١٩٢٤م تم إصدار مجلة المعهد الطبى العربى ورأس تحريرها د/ مرشد خاطر ، وعُرضت على صفحاتها الألفاظ والمصطلحات العلمية والنقاش والتمحيص من قبل المختصين واللغويين فى سورية وفى الأقطار العربية الأخرى ... واستمرت المجلة فى صدورها حتى عام ١٩٤٧م [٣] .

---

(١) الخياط ( د / محمد هيثم ) : مرجع سابق .

(٢) الأفغانى ( سعيد ) : حاضر اللغة العربية فى الشام . معهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية ، ١٩٦٢ م .

(٣) سبح ( د / حسنى ) : المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبى . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ٥٩ (٢) ١٩٨٤ م .

وبعد أستقلال سورية ، شُكلت فى كلية الطب « لجنة المصطلحات الطبية » من الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدى الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبى ، وقامت بترجمة « معجم كليرفيل كثير اللغات » وأصدرته عام ١٩٥٦ م فى ألف صفحة ، وهو يضم ١٤٥٣٤ مفرداً . ثم عمل الأستاذان مرشد خاطر وأحمد حمدى الخياط على إخراج معجم فرنسى ـ عربى ، طبع السفر الأول منه عام ١٩٧٤م بعد أن أعاد النظر فيه الدكتور محمد هيثم الخياط ، وهو بعنوان «**معجم العلوم الطبية**»، ويقع فى ٦٠٤ صفحات ، ويتضمن مفردات مرتبة من الحرف A إلى الحرف E [١] .

ومنذ عام ١٩٦٠م بدأت نقابة الأطباء فى سورية بإصدار « المجلة الطبية العربية » وهدفها إثبات صلاحية اللغة العربية للتعليم الطبى والأبحاث الطبية المختلفة . وهى تصدر كل ثلاثة شهور حتى الآن .

ويجب أن نذكر هنا « دليل الكتاب التقنى العربى » ، وهو وإن كان دليلاً غير كامل ، فإنه يورد ما لا يقل عن ٧٠٠ كتاب ومرجع باللغة العربية فى مجالات العلوم وميادين التقنية المختلفة .

هكذا نجحت التجربة السورية نجاحاً ملحوظاً ، فجامعة دمشق مثلاً تدرس الطب بالعربية منذ أكثر من نصف قرن ، ويتخرج منها النابهون والعلماء فى مختلف التخصصات الطبية . وباعتراف بعض الهيئات الدولية ، فإن الطلبة الذين تلقوا علومهم الطبية باللغة العربية لا يقلون مكانة عن خريجى الجامعات الأجنبية ، مما يؤكد أن اللغة العربية لا تقل شأناً عن اللغة الإنجليزية فى قدرتها على التعبير عما هو مطلوب ، كما يؤكد المسئولون أن القائمين على التدريس استطاعوا بكفاءاتهم العلمية ومقدرتهم على عمليات الترجمة أن ينقلوا إلى طلابهم كل ما هو جديد وحديث ، وخير دليل على ذلك هى الكتب الطبية العربية المتوافرة فى متناول الطلبة ، والتى ساهم فى تأليفها أو ترجمتها أعضاء هيئة التدريس [٢] .

وفى لبنان تأسست مدرسة أمريكية فى النصف الثانى من القرن الميلادى الماضى حيث كان مقرها قرية عبية ثم نقلت إلى بيروت ، وحملت اسم الكلية الأمريكية ، وكان علم الطب مع سائر العلوم المتصلة به يدرس فيها بالعربية بنجاح ظاهر ، ولكن فى غفلة من

---

(١) الخياط ( د / محمد هيثم ) : معجم العلوم الطبية . ط جامعة دمشق ، ١٩٧٤ م .

(٢) خليفة ( د / عبد الكريم ) : دور المجامع اللغوية فى الحياة العلمية العربية المعاصرة . مجمع اللغة العربية بعمّان ، ندوة الموسم الثقافى الثانى ١٩٨٤ م .

الزمن وبعد بضع سنوات فقط من عملها فى بيروت جرى تحويله إلى الإنجليزية [1] .

## تجربة العراق

قطع العراق الشقيق مرحلة لا بأس بها فى تعريب العلوم والثقافة والمعارف المتنوعة ، ففى عام ١٩٧٠م أقدمت كلية العلوم بجامعة بغداد على اتخاذ خطوة كبيرة فى مجال تعريب العلوم ، وعمد بعض الأساتذة إلى تدريس بعض المواد العلمية باللغة العربية ، كما ساهم آخرون بتأليف كتب باللغة العربية ، مما دفع بحركة التعريب إلى الأمام [2] .

وقد قام العراق بوضع خطط لتعريب التعليم الجامعى عامة ، وعقد من أجل ذلك مؤتمرات منها **(مؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى)** عام ١٩٧٨م ... ورافق هذا الحركة **إنشاء** المجمع العلمى العراقى ، وهو المجمع الذى يهدف إلى النهوض بالدراسات والبحوث العلمية والمحافظة على سلامة اللغة وتشجيع الترجمة والتأليف . ومن الأمثلة المبشرة بمستقبل زاهر لحركة التعريب بالعراق أن جامعة الموصل مثلاً قامت فى خلال أربع سنوات فقط بترجمة وتأليف ما لا يقل عن (١٢٠) كتاباً باللغة العربية فى العلوم المختلفة [3] .

وقد صدر قرار بتطبيق التعريب الإلزامى لمواد الصفوف الأولى فى كليات الطب وطب الأسنان اعتباراً من العام الجامعى ١٩٨١/٨٠ [4] .

## تجربة الأردن

تأسس مجمع اللغة العربية فى عمّان عام ١٩٧٦م ، ومنذ تأسيسه وهو يعتبر تعريب التعليم الجامعى أحد مسئولياته ، فقام بترجمة عدة كتب علمية فى موضوعات الفيزياء والجيولوجيا والأحياء والرياضيات والكيمياء للسنوات الجامعية الأولى ، مستعيناً بمشاركة أساتذة الجامعات [5] .

(١) السعيد ( د / محمد مجيد ) : دور مؤسسات التعليم العالى فى توحيد المصطلح العلمى وإشاعته . المجلة العربية للعلوم ، ع (٩) ١٩٨٦ م .

(٢) خليل ( ياسين ) : تعريب التعليم الجامعى فى القطر العراقى . آفاق علمية ٨ (٥) ١٩٨٣ م .

(٣) المطوع ( د / نجاة عبد العزيز ) : آفاق الترجمة والتعريب . عالم الفكر ١٩ (٤) ١٩٨٩ م .

(٤) المطوع ( د / نجاة عبد العزيز ) : نفس المرجع .

(٥) أبو حلو ، لطفى ( يعقوب ، لطفية ) : تقييم المرحلة الأولى فى تعريب التعليم العلمى الجامعى التى تبناها مجمع اللغة العربية الأردنى . المجلة العربية للعلوم الإنسانية . ع (١٤) ١٩٨٤ م .

وينص دستور الجامعات هناك على أن اللغة العربية هى لغة التدريس ، إلّا فى حالات استثنائية شاذة ، إلّا أن التعريب قد تأجل فى كليتىْ طب الأسنان والطب البشرى إلى سنة ١٩٨٠م ، حيث يجرى تعريب علومهما منذ ذلك التاريخ .

## تجربة المغرب العربى

تقوم فى **تونس** المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، ببذل جهود مشكورة فى هذا المجال ، حتى لقد أنشأت معهداً يختص بالترجمة والتعريب هناك هو (المعهد الوطنى للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات) ، إلّا أن التعريب الشامل للمرحلة الجامعية لا يزال يعانى من القصور ، فلا تزال الفرنسية هى اللغة الرئيسية للتدريس والبحث العلمى[١] .

انعقدت فى تونس ندوة (التعاون العربى فى مجال المصطلحات ، علماً وتطبيقاً) سنة ١٩٨٦م ، شاركت فى تنظيمها المنظمات الدولية ذات العلاقة بالموضوع ، وهى : المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المعهد القومى للمواصفات والملكية الصناعية ، ومركز المعلومات الدولى لعلم المصطلح .

كما قطعت **الجزائر** مرحلة طويلة من التعريب ، تناولت مختلف جوانب الحياة العلمية والرسمية ، فبالإضافة إلى تعريب التعليم العالى ، فقد استحدثت أقساماً معَرَّبة فى الكليات العلمية ، كما عربت جهاز القضاء والجهاز العسكرى وأجهزة الجيش الوطنى والإعلام . إلّا أنها لم تستطع بَعْدُ تحقيق الانتصار الشامل فى حركة التعريب بسبب تغلغل الثقافة الفرنسية فى الكيان الجزائرى ونقص الكفاءات العلمية وخاصة فى الحقل الجامعى[٢] .

### أهمية القرارات السياسية فى قضية التعريب :

ختاماً ، هل للقرار السياسى والإجراءات السلطوية دور فعال فى إنجاح هذه التجارب العربية أو تجربة عربية شاملة للتعريب ؟

يقول **الشيخ محمد الغزالى** : إن المجتمع الإسلامى يحتاج فى تجربته لتعريب العلوم إلى

---

(١) العاشورى ( عبد العزيز ) : محاولة لتقويم تجربة التعريب فى تونس . مركز دراسات الوحدة العربية : التعريب ودوره فى تدعيم الوجود العربى والوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

(٢) المطوع ( د / نجاة عبد العزيز ) : مرجع سابق .

قرار جرىء من نوع القرار الذى أصدره سعد زغلول فى مصر (فى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى) حيث كان التعليم فى المراحل الأولى بالإنجليزية . والشعب العربى ـ بل والأمة الإسلامية جميعاً ـ بحاجة إلى الإدراك الواعى بأن اللغة القومية هى لغة عقيدية ، وأن المحاولة للإطاحة بتلك اللغة هى الإحاطة بالعقيدة ذاتها[1] .

وإذا كان الشيخ الغزالى قد أشاد بقرار سعد زغلول فى مصر بتعريب التعليم ، فإن الأستاذ عبد الرازق البصير يذكر لنا قرار المرحوم الرئيس هوارى بومدين فى الجزائر باتخاذ قرار سياسى حسم المناقشات والمماطلات فى عملية تعريب التعليم فى الجزائر[2] .

ويقول الدكتور محمد مجيد السعيد[3] :.. إننا لا نفتقر إلى منهج علمى لصنع المصطلح وصياغته ، ولا إلى خطة عمل للتوحيد والشيوع والنشر ، ولكننا نحتاج بالفعل إلى وجوب الاتفاق على ما نعتقده نافعاً ومحققاً لغاياتنا مما هو بين أيدينا من مقترحات عديدة ، ووجوب الإلزام الصارم به . ولكون ذلك «قضية ليست بيد الأفراد أو المنظمات فى بلادنا .. فإن تطبيق مبدأ الالتزام يستوجب إصدار قرار سياسى بالدرجة الأولى ، ويتطلب من ساسة الدول العربية وقادتها دعم ما وصل إليه العلماء واللغويون والمجامع والجامعيون من نتائج ، وتطبيق ذلك ليس بشكل مبعثر ومتفرق ولكن بشكل موحد على الصعيد العربى» . إنها الخطوة الأساسية الأولى التى يتوجب علينا العمل على تنفيذها والسعى الحثيث لاستحصال مثل هذا القرار السياسى من خلال الجامعة العربية ... وإذا تمت الخطوة وصدر القرار السياسى الإجماعى من قادة العرب ، لم يبقى حينذاك سوى أن تحدَّد الجهات المخوَّلة بوضع المصطلح وصياغته ، وأسس بنائه وقواعده ، وهنا يبرز دور المجامع اللغوية العربية وضرورة تنسيق جهودها وتوحيد نشاطاتها من أجل «وضع المصطلحات العربية والتوصل إلى صيغ وأصول تصبح قواعد للتعريب يمكن القياس عليها والجرى على نسقها» ، ولا يكتفى بذلك بل لابد من أن ينبثق اتحاد عربى للمجامع اللغوية والعلمية تتمثل فيه الأقطار العربية جميعها ، تكون مهمته النظر فيما ترفعه إليه المجامع القطرية من اجتهادات وتوصيات ومشاريع مصطلحات فيقر ما يراه أكثر مناسبة ودقة منها .

---

(١) الغزالى (محمد) :

(٢) البصير (عبد الرزاق) : تعريب التعليم فى الجامعات . العربى (٣٢١) ١٤٠٦ هـ/١٩٨٥م .

(٣) السعيد (د/محمد مجيد) : مرجع سابق .

ولندع التنسيق بين المجامع وتوحيد جهود الهيئات وما إلى ذلك ، ونعود إلى القرار السياسى والسلطة الملزمة بما يصدر عن الجهات العلمية واللغوية ، فنقول أن هناك نفراً من علماء الأمة لا يعولون على القرارات السياسية تعويلاً كبيراً فى هذه القضية المصيرية . يقول الدكتور الناعورى[1] :.. ولست أفهم للقرار السياسى فى تعجيل تعريب التعليم العلمى الجامعى معنىً على الإطلاق ، إذْ أن القضية قضية كرامة قومية وإيمان قومى ، إنها من البدهيات التى لا تحتاج إلى أكثر من أن يشعر المسئولون بأنهم عرب ، وإن الجامعات عربية وفى بلاد عربية ويدرس فيها طلاب عرب لا أجانب ، هذا الشعور وحده كافٍ ليجعل اللغة العربية هى لغة التدريس لا سواها .

ومما أثلج صدور المهتمين بقضايا تعريب العلوم والمناهج التعليمية ذلك القرار الذى صدر عن المؤتمر العشرين لاتحاد الأطباء العرب فى جلسته الختامية (القاهرة ١٩٨٨/١/٢٢) والذى ينص على تعريب مناهج كليات الطب . ويعتبر هذا القرار أن عام ١٩٨٨ هـ أول أعوام تنفيذ أولى مراحل تعريب المناهج فى كليات الطب ، وسيتم تشكيل لجنة لمتابعة الخطوات التنفيذية ، لتعميم التدريس باللغة العربية بحيث يتوقف تدريس مناهج الطب بغير اللغة العربية مع عام ١٩٩٧ م ، كما نص القرار على أن تكون البحوث فى مؤتمر اتحاد الأطباء العرب باللغة العربية .

وخلاصة القول أن التعريب قضية يجب أن يشعر بها كل متعلم وكل مثقف وكل مواطن فاقه لمستقبل وطنه وعظمة وعراقة أمته ، وإن كنا لا ننكر أهمية القرارات التى يصدرها الحكام والمسئولون فى بعض الأمور والمسائل المصيرية ، فإننا على يقين بأن القرارات لا تستطيع وحدها أن تحل المشكلة ، لا سيما وأن العالم العربى لم يصل بعد إلى حالة الوحدة الشاملة وبالتالى فيُخشى على القرارات السياسية أن تكون ذات أغراض ضيقة ولمصالح بلد دون الآخر .

---

(١) الناعورى ( د / عيسى ) : لماذا تتجمد لغتنا وتزدهر لغات الآخرين ؟! . الدوحة (٩٩) ١٩٨٤ م .